المعركة الوطنية .. واتجاهات اليسار

بقلم اسماعيل المهدوي

قال احد الزعماء الاشتراكيين منذ عدة سنوات :

« اذهب الى اقصى اليسار ، تجد نفسك في اليمين ! » .

وفي كثير من المواقف السياسية ، يكون من الصعب ان نقيم حاجزا فاصلا بين اقصى اليسار واطراف اليمين. فيجب اذن في مثل هذه المواقف ان ندرس مختلف الاتجاهات على اساس مقتضيات المرحلة التي نواجهها ، ونوع الاهداف التي يسعى اليها العدو ، واحتمالات استفادته من اي انحراف يظهر في صفوف اليسار .

ومن الضروري ان نشير منذ البدء الى اننا نستخدم كلمة اليسار في معناها العام للتعبير عن قوى الثورة الاجتماعية المعادية للطريق الرأسمالي بدرجة او باخرى، ونستخدم كلمة اليسار في معناها الخاص للتعبير عن التطرف او الانحراف داخل اليسار الاشتراكي بالمعنى العام . وعلى اساس هذا التمييز ، يمكن ان نستخدم التقسيمات التقليدية المعروفة التي توزع اتجاهات اليسار الى : يسار اليسار (او الانحراف اليساري) ، ويمين اليسار (او الانحراف اليميني) ، واليسار الثوري (او الاتجاه الصحيح في اليسار) . وتتميز كل هذه التقسيمات بشكل او باخر عن « اليمين » بالمعنى العام ، وهو الاسم الذي يطلق على القوى المحافظة اجتماعيا التي ترفض الثورة الاشتراكية ، سواء عن قصور او تخلف في المفهوم القومي ، او نتيجة ارتباطات رجعية معادية للشعب .

ومن ناحية اخرى ، فمن المفيد ان نلاحظ ان التطرف اليميني او التطرف اليساري ، لا يقتصران على الفكر الاشتراكي الماركسي ، بل هما ظاهرتان تبرزان بالضرورة في اي فكر او نشاط يمارسه الاشتراكيون ، ومنهم هؤلاء الذين لا يعترفون بالماركسية . ذلك ان بعض الاتجاهات الاشتراكية الجديدة التي تستقي معلوماتها عن الماركسية من مصادر الدرجة الثانية او الثالثة ـ اعني عن غير طريق الدراسة المباشرة ـ تتصور ان انحرافات اليمين واليسار في الحركة الاشتراكية اختراعان من اختراعات الماركسية يمكن تجنبهما تماما بالابتعاد عن منحنيات الماركسية . وقد سئل طفل في احدى تجارب علم النفس عن الحل الذي يقترحه لتجنب الحوادث التي تصيب القطارات مع ملاحظة ان معظم هذه الحوادث تصيب العربة الاخيرة ، فقال في بساطة بريئة : الحل هو الغاء العربة الاخيرة من القطار !

لكن اذا كان من المحتوم ان يحتوي كل قطار على عربة اولى وعلى عربة اخيرة ، فمن المحتوم ايضا ان تحتوي كل حركة اشتراكية على يمين وعلى يسار ، مهما كانت الاسماء التي يحملها كل منهما ، ومهما كان رأيه في معنى اليمين ومعنى اليسار .

بل يحدث كثيرا ان يكون الانحراف اليساري لدى هؤلاء الذين لم يدرسوا الماركسية ، اكثر تطرفا من الانحراف اليساري لدى الماركسيين ، على الاقل لان هؤلاء تناقلوا خلال الاجيال الماركسية في بلاد العالم تراثا كبيرا عن تحليل اليسارية واضرارها ، وتناقلوا الكثير من الشعارات المضادة للانحراف اليساري ، منها مثلا شعار لينين : « الشيوعية اليسارية اضطراب طفولي » ، بل وايضا شعار ماو تسي تونج في الماضي : « اليسارية حلقية مغلقة » . لهذا نجد ان الانحراف اليساري عند الماركسيين يتخذ في العادة شكلا ملتويا متخفيا يحاول على الاقل ان يخفف مضمونه بتبريرات « معقولة » الى حد ما . اما الانحراف اليساري عند الاشتراكيين غير الماركسيين ، فيتخذ شكلا عارما منطلقا لا يقيده تراث ايديولوجي ولا اعتبارات نظرية ولا محاولات للتبرير والتخفيف ، بل يتحرك بتلقائية النوايا الذاتية التي تتصور التطرف تعبيرا عن الافراط في الثورية وفي الاخلاص .

ومعظم الماركسيين يتذكرون بلا شك انهم كانوا يبدأون كفاحهم الاشتراكي بتصورات مفرطة في اليسارية، وكانوا يتخلصون من التطرف اليساري مع تدرج استيعابهم للمفهوم العلمي للثورة الاشتراكية . وتكفي هذه الملاحظة لتوضح ان الاشتراكي غير الماركسي اقرب الى الوقوع في الانحراف اليساري من الاشتراكي الذي استوعب الماركسية . واعني بالحديث عن الاشتراكيين غير الماركسيين هنا ، هذه الفئات المتنوعة من الاشتراكيين الثوريين في البلاد العربية الذين يخلصون للاشتراكية حقا ويعملون من اجلها ، وقد يستفيدون الى حد كبير او صغير من الماركسية ، دون ان يدركوا ذلك او دون ان يعترفوا به .

والملاحظة الثانية التي توضح مدى جاذبية الانحراف اليساري للعناصر الاشتراكية غير الماركسية ، ان معظم هذه العناصر بالذات تشعر اكثر من غيرها بالتعاطف نحو الاتجاهات الصينية في الحركة الشيوعية العالمية ، رغم انها قد تتخذ موقفا غير متعاطف مع الشيوعية بشكل عام . وبعبارة صريحة ، تقول ان الاتجاهات اليسارية

الصينية في الشرق الاوسط تستطيع ان تجد الترحيب لدى القطاعات التي توصف بالاشتراكية القومية اكثر مما تجد الترحيب لدى ما يسمى بالاشتراكية الماركسية. وابرز مثال على ذلك في الفترة الماضية ، هو موقف ذلك الجناح المعادي للسيوعية الذي سيطر على حكومة البعث العراقي قبل ثورة الرئيس عارف ، وهو جناح كان رغم ذلك متعاطفا مع التيار الصيني في الشيوعية العالمية خارج العراق !

على اساس هذه النقاط المبدئية ، يمكن اذن ان نشير الى اتجاهات اليسار في المرحلة الحاضرة ، دون ان يكون الحديث مقصورا على الاتجاهات الماركسية . فالمهم هو ان نضع ايدينا بطريقة علمية وموضوعية على مختلف المواقف التي تواجهنا اليوم بغض النظر عن الاسماء التي تحملها ، وبغض النظر عن رأيها الرسمي او غير الرسمي في الماركسية . فمهما كان رأيها في العربة الاولى او العربة الاخيرة من القطار ، فهي تحتل بالضرورة موقعا داخل قطار الاشتراكية يمكن تحديد علاقته بهذه العربة او تلك .

اتجاهات اليسار في العالم

تناول المعلقون خلال السنوات الاخيرة موضوع الصراع الصيني السوفييتي بالتحليل المفصل ، بحيث لا يحتاج الى المزيد من الحديث . ومهما كانت الاسباب المباشرة وغير المباشرة لهذا الصراع ، ومهما كان الدور الذي لعبته المخابرات الاميركية والدوائر الرجعية العالمية في توسيعه ورفع حرارته ، فيجب ان نعترف بأنه ظاهرة طبيعية محتومة في الحركة الاشتراكية العالمية . وليس من الواقعية ان نحلم بانتهاء هذا الصراع . لكن كل ما يأمل فيه المدافعون عن السلام والاشتراكية في العالم ، هو تحويله الى صراع سلمي هادىء ومحصور في اضيق نطاق حتى لا يتحول الى سبب من اسباب التخريب في حركات السلام والاشتراكية ، واداة تستخدمها دوائر الثورة المضادة العالمية لشق النشاط الثوري وتبديد طاقاته .

والمسألة على وجه التحديد ، هي ان الحركة الاشتراكية العالمية منذ ايام كارل ماركس حتى اليوم ، كانت تمر دائما بانواع من الصراع الخطير بين الاجنحة المختلفة داخل صفوفها . كل ما في الامر ان هذا الصراع كان يجري داخل الاحزاب او داخل التنظيم العالمي الذي كان يجمع هذه الاحزاب تحت اسم « الدولية » . وفي كلا الحالتين لم يكن موضوع الصراع يصل الى القطاعات الواسعة من الرأي العام المحلي او العالمي . اما عندما اصبحت الاشتراكية نظاما تأخذ به دول عديدة ذات علاقات واتصالات بالدول الاخرى ، وكل واحدة منها تملك اجهزة تمارس الدعاية والنشر والاذاعة في انحاء العالم ، فقد اصبح الصراع الطبيعي والمحتوم مثار نقاش لدى المواطن العادي في كل مكان . ومعنى ذلك ان الصراع الصيني السوفييتي ليس سوى صورة مكبرة او مشوهة في بعض جوانبها للصراع الذي كان يدور في كل مرحلة من المراحل السابقة للثورة الاشتراكية العالمية : الصراع بين ماركس وبرودون وباكونين في الدولية الاولى — ثم بين لينين وكاوتسكي وروزا لوكسمبرج في الدولية الثانيه والثالثه — ثم بين ستالين وانصار تروتسكي وبوخارين في الدولية الثالثة التي تقرر حلها عام ١٩٤٣ — ثم بين ستالين وتيتو في المكتب الدولي الذي تأسس بعد ذلك ثم تقرر حله في بداية عهد خروشوف .

وفي معظم هذه الاحوال كان هناك قوة واحدة تملك القدرة على تصفية الاتجاه المعارض عالمياً . اما اليوم ، فلم يعد الامر كذلك . ومن هنا انفجر الخلاف بين اطراف الحركة الاشتراكية العالمية بشكل علني واسع . ومن المؤسف ان الاتجاهات الصينية بشكل خاص لم تستطع ان تدرك ان اساليب الصراع الحاد التقليدي والاتهامات الملتهبة التي ارتبطت دائما بالصراع الايديولوجي داخل الحركات الشيوعية ، ليست على الاطلاق اساليب مناسبة في ظروف هذا العصر الذي تتردد فيه اصداء الكلمة الصغيرة عبر اذاعات وصحف العالم كله . ومهما يكن ، فقد اردنا ان نشير هنا فقط الى ان الصراع الصيني السوفييتي ليس مجرد صراع بين « دولتين » ، لكنه صراع طبيعي بين اتجاهات تبرز بالضرورة داخل الحركة الاشتراكية في كل مكان — يستوي في ذلك ان نطلق عليها اسماء بلاد اخرى ، او اسماء الزعماء الذين يدافعون عن كل اتجاه منها ، او اي اسماء اخرى مناسبة .

ذلك لان هؤلاء الذين يفكرون بعقلية الغاء العربة الاخيرة في القطار ، قد يقولون في سذاجة :

« ما شأننا نحن بالاتجاهات الصينية او السوفييتية؟! يجب ان نقصر الحديث على الاتجاهات القومية ! »

لكن المشكلة هي — كما قلنا — مشكلة اطراف تبرز موضوعيا داخل اي نشاط اشتراكي ماركسي او غير ماركسي ، وتحت اي اسم . وانما تفيد هذه التسميات في انها تقدم نماذج واضحة مبلورة للتوزيعات العالمية المتوقعة في اطراف الصراع . وفضلا عن ذلك، فالاتجاهات الصينية والسوفييتية تمارس تأثيرات دعائية ومادية على الحركات الاشتراكية في العالم كله ، وتترك عليها بصمات واضحة سواء اعترفنا بذلك او انكرناه . فالمكافح الاشتراكي الذي يزعم انه منفصل تماما عن تأثير الصراع الصيني السوفييتي ، هو انسان لا يعيش على ظهر هذا الكوكب .

وقبل ان نشير الى السمات الاساسية النمطية لكل اتجاه من هذين الاتجاهين ، يجب ان نقرر اولا حقيقة هامة ، هي ان كل عصر من عصور الثورة ، يحدد وجهة الانحراف الذي يتعرض له اكثر من غيره ، كما يحدد نوع الانحراف الذي يمثل الخطر الرئيسي بالنسبة له . ومعنى ذلك انه اذا كان اليمين واليسار قطبين طبيعيين في النشاط الاشتراكي ، فان كل انحراف من هذين الانحرافين يرتبط بظروف معينة ، تعطيه امكانيات اوسع

للانتشار في هذا العصر او ذاك ، وتحدد مدى خطورته واضراره وفقا لطبيعة العصر الذي يظهر فيه .

والقاعدة المعروفة بشكل عام ، هي انظروف الضعف التي تتعرض لها القوى الاشتراكية تجعلها اكثر ميلا الى الانحراف اليساري ، بينما ظروف القوة تجعلها اكثر ميلا الى الانحراف اليميني .

ومن ناحية اخرى ، فان الانحراف اليساري يمثل الخطر الرئيسي بالنسبة للقوى الاشتراكية في الظروف الضعيفة ، لانه يعني تجمدها وانغلاقها في حلقة متقوقعة. اما في ظروف القوة ، فان الانحراف اليميني يصبح الخطر الرئيسي ، لانه يعني الاتجاه الى الذوبان في العدو وعدم الاستفادة من القدرة على ضربه .

ومن غير دخول في تفاصيل ، يمكن ان نقول ببساطة ان الانحراف اليساري هو الانحراف الذي يبالغ في القدرة الذاتية للثورة ويقلل من القدرة الموضوعية للعدو ، بينما الانحراف اليميني هو الذي يقلل من القدرة الذاتية للثورة ويبالغ في قدرة العدو .

ولنأخذ امثلة على ذلك .

قبل الحرب العالمية الاولى ، كانت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية قد تحولت الى قوى جماهيرية كبيرة في عدد من بلاد اوروبا . ولو كان لهذه الاحزاب الاشتراكية في ذلك الوقت قيادات ثورية ، لاستطاعت ان تستخدم قدرتها الواسعة في تحويل الحرب الاستعمارية الى حروب اهلية والتطويح بالرأسمالية المحلية كما حدث في روسيا القيصرية . لكن قيادات هذه الاحزاب ، خصوصا في بريطانيا وفرنسا ، كانت انتهازية يمينية تعمل لحساب الرأسمالية الاوروبية ، فقامت بعزل الجماهير عن الثورة الاشتراكية ، وانتهت الى الذوبان تماما في جبهة الرجعية كما يظهر اليوم في حزبي جي موليه وهارولد ويلسون اللذين توارثا الانتهازية اليمينية من ذلك العصر السابق .

وفي بداية عهد الدولة السوفياتية ، كانت الرأسمالية العالمية تقوم بالهجوم العسكري الواسع على الدولة الوليدة الوحيدة ، بينما الحركة الاشتراكية في العالم قد تمزقت وانضم معظمها الى جبهة الرأسمالية . وفي هذه الظروف ، ظهر الانحراف اليساري على يد تروتسكي يطالب في السياسة الخارجية بتحقيق الثورة العالمية في كل البلاد ويطالب في السياسة الداخلية بتركيز كل السلطات في قبضة قيادة الحزب والغاء دور الجماهير غير الحزبية حتى في العمل النقابي . ولو كان هذا الانحراف اليساري قد انتصر في ذلك الوقت ، لانتهى الى تحطيم الدولة الجديدة من الخارج ومن الداخل .

اما اليوم ، في ظل التوازن الذري العالمي ، فان الموقف بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة يتحدد في كل بلد وفق ظروفه الخاصة ومراحل تطوره .

ونستطيع الان ان نحدد بشكل عام السمات الرئيسية لاتجاهات اليسار في العالم في الظروف التاريخية الحاضرة :

١ ـ اليسار الثوري :

ويرى هذا الاتجاه ان الظروف في العلاقات الدولية تقدم المزيد من امكانيات السلام والتعايش السلمي ، وان هذه الظروف مناسبة في كثير من المجتمعات المحلية لاتباع طريق الثورة التدريجية السلمية . لكن هذا الاتجاه يرى ايضا ضرورة تركيز المقاومة العالمية على ردع الاستعمار الاميركي وتصفية اعماله العدوانية ، وان الثورة في بعض المجتمعات تستلزم طريق العنف المسلح .

٢ ـ يمين اليسار :

وهذا الاتجاه يبالغ في توسيع تكتيك التعايش السلمي ويبالغ في السعي الى الافلات من الصدام مع المخططات الاستعمارية في العلاقات الدولية والافلات من الصدام العنيف مع الثورات المضادة في المجتمعات المحلية . ومن حسن الحظ ان هذا الاتجاه ليس واسع الانتشار اليوم في القوى ذات التأثير في السياسة العالمية .

٣ ـ يسار اليسار (وتدخل فيه الاتجاهات الصينية او المتفقة مع الصين) :

ويرى ان الظروف العالمية تحمل المزيد من اسباب الحرب والصدام بين الدول الكبرى ، ومن ثم يجب في العلاقات الدولية اتباع سياسة المناطحة ومواجهة الحرب العالمية . وفي المجتمعات المحلية ، يرى ان الصدام العنيف المتطرف هو الاسلوب العام للثورة في بلاد العالم .

ومن الممكن ان نتابع هذه الاتجاهات في تطبيقاتها المختلفة في العلاقات الدولية والعلاقات الطبقية . وسوف نجد انه في البلاد التي تستلزم ظروفها اتباع الاساليب العنيفة (مثل دول اميركا اللاتينية) يحدث كثيرا ان تنتعش الاتجاهات الصينية (يسار اليسار) ، مع ان الاتجاهات الثورية غير الصينية لا تتعارض مع هذه الاساليب ، بل تقتصر فقط على رفض الاعتراف بها كقاعدة عامة ، كما ترفض تطرفها الى مستوى الفوغائية والتهور الاجتماعي . ومن ناحية اخرى ، فاذا كانت الاتجاهات الصينية في مثل هذه البلاد تطرح بعض الاساليب الصحيحة موضوعيا في مجال الكفاح المحلي ، الا انه سرعان ما يظهر قصور هذه الاتجاهات وانحرافها خارج هذا المجال ، اي بالنسبة لحركات التحرر والسلام في المجتمع العالمي . فهي رغم كفاحها الثوري داخل بلادها لا تتورع عن ممارسة اعمال التخريب في النشاط الدولي بطريقة لا تفيد الا اعداءها هي ايضا .

ومهما يكن ، فمن المفيد الا نتطرق الى تفاصيل هذه المواقف في البلاد الاخرى ، وان ننتقل الى مظاهرها في الوطن العربي ، على قدر ما تسمح به ظروف المعركة الحاضرة من التحديد والتفصيل .

اتجاهات اليسار في الوطن العربي

اذا استعرضنا الظروف في وطننا العربي على أساس المبادىء الفكرية السابقة ، نستطيع أن نصل الى نتائج واضحة حول طبيعة الانحراف الذي يمكن ان تتعرض له القوى الثورية العربية واحتمالات الخطر الناتج عنه .

السؤال : هل تعبر هذه المرحلة عن اتساع أم عن ضيق في قدرة القوى الاشتراكية العربية ؟

الجواب الواضح هو : ان ظروف النكسة أدت الى تضييق قدرتها .

وبناء على التحديدات السابقة ، نجد ان مثل هذه الظروف تؤدي عادة الى انتشار الانحراف اليساري ، وانه في مثل هذه الظروف بالذات ، يكون الانحراف اليساري هو الاكثر خطرا على الحركة الثورية . لماذا ؟ لان الحركة الثورية التي تعاني من الانكماش ، تدفعها اليسارية الى التقوقع والاختناق ، بينما يكون الاتجاه الصحيح ، هو دفعها الى المزيد من التوسع والانفتاح لتعويض الضعف الذاتي الذي يترتب بالضرورة على أي نكسة .

ولنأخذ نقاطا معينة تبرز فيها الانحرافات اليسارية ، باعتبارها كما قلنا الانحرافات الاكثر خطرا في هذه المرحلة ، والاكثر قدرة على الانتشار .

١ ـ الموقف من الاتحاد السوفياتي :

لم تتورع الاتجاهات الصينية أثناء العدوان وبعد العدوان عن الهجوم الحاد وتوجيه حملات التشويه والافتراء ضد الاتحاد السوفياتي الى درجة اتهامه بالاتفاق مع الاستعمار الاميركي ضد الثورة العربية . وكانت دوائر الاستعمار البريطاني والاميركي ودوائر الدعاية الصهيونية والاوساط العميلة المحلية ، تردد هذه الافتراءات والاتهامات نفسها . ومع ذلك لم يفكر المتآمرون بالدعاية الصينية في نتائج هذا الالتقاء الواضح بين دعاواهم ودعاوى العدو . ويدل هذا الواقع على أحد الاسباب التي تدفع اليمين المحافظ وأوساط الرجعية في أجزاء من الوطن العربي الى تشجيع وتنشيط العناصر اليسارية المنحرفة المتأثرة بالدعاية الصينية . ذلك ان هذه الاوساط المعادية للاشتراكية تستطيع من خلال العناصر الصينية أن تمارس الهجوم الصريح او المستتر على الاتحاد السوفياتي تحت راية يسارية ، بل وماركسية أيضا . وهي بهذه الطريقة تستخدمها قناعا لاخفاء المصالح الرجعية التي تدفعها الى الهجوم على الاتحاد السوفياتي . واذا دققنا النظر في أوضاع العناصر ذات الانحراف الصيني في مجالات الدعاية في الوطن العربي ، سوف نكتشف انه يوجد عادة وراء معظم هذه العناصر ، مراكز يمينية نشيطة وخبيثة .

وطبيعي انه في البلاد العربية التي تعتمد على الدعم المادي من الاتحاد السوفياتي ، لا يكون من السهل ممارسة الهجوم الصريح على الاتحاد السوفياتي . ولهذا يتخذ الهجوم في هذه البلاد أشكالا ملتوية متنوعة . من ذلك مثلا اثارة الضجيج حول ما يسمى « الضربة الاولى » . فهم يزعمون ان السبب الاساسي للنكسة هو عدم قيام الجمهورية العربية بتوجيه الضربة الاولى للعدو ، مع ان الحقيقة هي ان هذا الالتزام الواعي هو الذي كسب لنا تأييد كثير من دول العالم وأتاح لنا احباط الخطة الاميركية الصهيونية للتوغل الواسع داخل الاراضي العربية . وعلى أساس أسطورة الضربة الاولى تتدرج هذه العناصر اليسارية المنحرفة الى دور الاتحاد السوفياتي في مساعدة التواطؤ الاميركي لعرقلة الهجوم العربي !

ومن الاساليب الملتوية الاخرى في ممارسة الانحراف اليساري ، ذلك الشعار المثير للنفور الذي تردد في الشهر الماضي حول « ضرورة تعديل العلاقات السوفياتية بالدول الصغيرة بحيث تزيد على علاقات الدول الاستعمارية بالدول العميلة لها » !

ومن الامثلة على ذلك أيضا ، التركيز على موقف الاتحاد السوفياتي الخاص بتجنب الهجوم العسكري المباشر على القوات الاميركية في مشكلة الشرق الاوسط ، طالما انها لم تتورط في صدام عسكري مباشر مع البلاد العربية . والمتأثرون بالانحراف الصيني لا يناقشون هذا الموقف من زاوية المبادىء الدولية العامة ومبادىء التعايش السلمي . ولا يناقشونه من زاوية السياسة الاستراتيجية الحكيمة لزاء الثورة العالمية ، بل يناقشونه من زاوية شوفينية ضيقة الافق . وهم تحت شعار « الاعتماد على أنفسنا فقط » ، يرددون الشعار الصيني المغلق الذي يقلل من أهمية القدرة العالمية للاتحاد السوفياتي ، ويحاولون بذلك أن يجعلوا من الاتحاد السوفياتي مجرد « تاجر أسلحة » صديق للعرب يمدهم بالسلاح لكنه يرفض أن يتقدم معهم أبعد من ذلك ! ولعل أوضح تعبير « وقح » عن هذه الاسطورة ، هذا الرأي الذي يردده أنصار الانحراف الصيني عن ان شعب كوبا وشعب فيتنام هما اللذان يقفان وحدهما في وجه الاستعمار الاميركي ، مع ان الشيء الوحيد الذي يمنع القوة الاميركية من اكتساح هذين البلدين المناضلين الصغيرين هو الخوف من قدرة الاتحاد السوفياتي .

وبديهي ان مواقف الاتحاد السوفياتي ليست فوق النقد . لكن هناك فرقا كبيرا بين النقد البناء لبعض الجوانب الثانوية في هذه المواقف ، والهجوم الذي يستهدف نسف أسس السياسة السوفياتية وعزل القوى الاشتراكية والتحررية عن اكبر قوة عالمية تدعم الاشتراكية والتحرر والسلام .

٢ ـ في السياسة الدولية :

اتخذ الانحراف اليساري الصيني في هذا المجال شكل الهجوم الشامل على هيئة الامم وعلى التعايش

السلمي ، باعتبار انهما وسيلتان للسيطرة الاستعمارية على العالم . وقد ترددت بالفعل أصوات تطالب بالانسحاب من هيئة الامم والتنكر لمبدأ التعايش السلمي . وكان من أغرب الافكار التي قيلت لتبرير الانسحاب من هيئة الامم ان العدوان الاميركي على كوريا الشمالية عام ١٩٥٠ لم يحدث الا تحت راية الامم المتحدة . ورغم الاختلاف الواسع في الظروف العالمية بين الفترتين ، فالواقعة الصحيحة في هذا الموضوع هي ان الاستعمار الاميركي لم ينجح في تغليف عدوانه بهذه الراية منذ سبعة عشر عاما الا نتيجة انسحاب المندوب السوفياتي وفق تعليمات النظام اليساري الستاليني من ذلك الوقت . ومعنى ذلك ان حادثة العدوان الاميركي « الدولي » على كوريا الشمالية ، تدين سياسة الانسحاب من المنظمات الدولية أكثر مما تدين الاشتراك في هذه المنظمات .

وقد عرضنا في مكان اخر ، ظروف المعركة العالمية التي يجب أن نخوضها داخل المنظمات الدولية ، ومن اجل توسيع امكانيات التعايش السلمي واقراره كضمان لطريق التطور الاشتراكي في عالم المستقبل (١) . ويكفي أن نشير هنا الى ان الضغط الاميركي الصهيوني كان يتحرك في الفترة الاخيرة في اتجاه اثارة يأس البلاد الصغيرة من هيئة الامم ومن التعايش السلمي ، وذلك لكي تضطر هذه البلاد الى الاعتراف بسيطرة القوة الاميركية وتفقد الثقة في قدرة الرأي العام العالمي وفي قدرة الاتحاد السوفياتي ، الامر الذي يؤدي حتما الى استسلام معظمها أمام « البلطجة » الاستعمارية .

٣ ــ في الجبهة الداخلية :

تركز الانحراف اليساري في ميدان العمل في الجبهة الداخلية في عدة شعارات ينطبق عليها المثل القائل : « دعوة حق يراد بها باطل » .

من هذه الشعارات التي تعرضت للتوسيع والمط والتخريجات اليسارية الضارة ، شعارات تبدأ عادة من حقيقة واضحة هي ان العدوان استهدف في الاساس ضرب القيادة الثورية الاشتراكية في الوطن العربي . ثم تنتقل بعد ذلك الى الاستنتاجات التالية :

أ ــ اذا كان هدف العدوان هو ضرب الثورة الاشتراكية ، فان المعركة الحالية لا يمكن أن تكون الا معركة اشتراكية .

ب ــ اذا كانت المعركة الحالية هي معركة اشتراكية ، فان مواجهة العدوان يجب أن تتحرك في اتجاه المزيد من اجراءات الثورة الاجتماعية والمزيد من التأميمات والحراسات وتصفية القطاعات الرأسمالية التي لم تتم تصفيتها ، والمزيد من العمل على تذويب الفوارق بين الطبقات . (وعلى المستوى العربي ، التحرك نحو المزيد من الهجوم على الحكومات المعارضة الاشتراكية) .

ج ــ اذا كان الصراع في المرحلة الحاضرة هو صراعا اجتماعيا مباشرا ضد قطاعات أوسع من الرأسمالية والملكية العقارية ، فان الجبهة المضادة للعدوان يجب ان تكون ــ في رأيهم ــ جبهة عمال وفلاحين وجماهير فقيرة لا تفسح مجالا للرأسماليين الوطنيين ولا لقطاعات اليمين الوطني .

د ــ اذا كانت الجبهة المضادة للعدوان هي جبهة جماهير كادحة اشتراكية ، فيجب اذن ــ في رأيهم ــ فرض العناصر اليسارية المتطرفة في كل مجال من مجالات النشاط ، وذلك تحت شعار « النقاء الثوري المطلق » . وهذه هي السياسة التي كان يدعو اليها تروتسكي في عهد لينين عندما تمسك بضرورة « تعيين » قادة النقابات العمالية لضمان نقائهم وثوريتهم ! وهي نفس سياسة « الحرس الاحمر » الغوغائي الذي يفجر المعارك الدموية في أنحاء جمهورية الصين ويجعل منها المجتمع الاشتراكي الوحيد في عالم اليوم الذي لا يزال يعاني من الحروب الاهلية في داخله .

والخلاصة ان هذا الانحراف اليساري يطالب في الجبهة الداخلية بما يلي :

المزيد من التصفية للقطاعات المتملكة ــ والاسراع في تصفية فئات المديرين وكبار الموظفين غير السياسيين واستبعاد اليمين الوطني بل واليمين الاشتراكي من كافة المجالات ــ وفرض العناصر اليسارية المنحرفة في كل مكان ــ واستخدام أسلوب العنف في تحقيق هذه الاهداف اذا استدعى الامر .

وبديهي ان بعض هذه الاهداف هي بشكل نظري عام ، اهداف اشتراكية صحيحة . لكن اذا كانت السياسة فن الممكنات ، فمعنى ذلك ان الهدف غير الواقعي او البعيد المدى يتحول في التطبيق المباشر الى عنصر من عناصر التخريب وعرقلة المهام الواقعية العاجلة .

فمن المؤكد ان الثورة الاشتراكية يجب على المدى

(١) جريدة « الجمهورية » ، سلسلة مقالات في شهر يوليو ١٩٦٧ .

صدر حديثا :

الذين لا يكبون

قصص

بقلم :

عايدة مطرجي إدريس

٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب

الطويل أن تتحرك في اتجاه تذويب الفوارق بين الطبقات، والقضاء نهائيا على الامتيازات الطبقية في المجتمع ، ويجب أن تتحرك في اتجاه تحويل الدخل الفردي الى نتاج مباشر للجهد لا للملكية ، ويجب أن تتحرك في اتجاه الغاء امتيازات الفئات الادارية الجديدة التي ظهرت في السنوات الماضية ، ويجب أن تتحرك أيضا في اتجاه اختيار العناصر النقية الثورية لتولي العمل في كل مجال . هذه أهداف اشتراكية صحيحة لا تحتاج الى نقاش .

لكن السؤال هو : هل مرحلة مواجهة العدوان في الحاضر تحتمل تحويل هذه الاهداف الى مهام عاجلة مباشرة ، أم انها على العكس تستلزم تأجيلها الى ما بعد تصفية العدوان ؟

المسألة ليست اذن مسألة خيار بين الثورة الاشتراكية والمعركة الوطنية كما يزعم البعض ، بل هي مسألة تمييز بين احتياجات تكتيكية مباشرة واحتياجات استراتيجية غير مباشرة .

صحيح ان العناصر اليمينية المحافظة تحاول الاستفادة من المعركة الوطنية في توسيع مراكزها والاستعداد لاجهاض الثورة الاشتراكية بعد ذلك والانقضاض على اليسار الثوري في أقرب وقت والانقلاب بحركة المجتمع العربي الى الطريق الرأسمالي . وصحيح أيضا ان مواجهة هذه المخططات اليمينية واجب ضروري وخطير . لكن حماية مستقبل الثورة الاشتراكية واحباط أطماع اليمين، يجب ألا يرتفعا الى مستوى المهام الرئيسية التي تورط المجتمع في معركة داخلية تطغى على مهامه الرئيسية ومعركته الرئيسية ضد العدوان العسكري الاجنبي . وبعبارة أخرى ، يجب في مرحلة المعركة ضد العدوان أن يدور الصراع مع اليمين الوطني داخل اطار الوحدة معه ضد الاحتلال العسكري . وهذه حقيقة تبدو واضحة جدا في مجال العمل في الجبهة القومية على مستوى البلاد العربية ، كما سنذكر عند الانتقال اليها .

وقد تعرضنا في مكان اخر لطبيعة الفروق بين احتياجات المرحلة التكتيكية للمعركة الوطنية ، واحتياجات المرحلة الاستراتيجية لاستكمال الثورة الاشتراكية (١) . ويمكن أن نضيف هنا عدة نقاط أساسية تدعمها السياسة الثورية الحكيمة التي تنتهجها بشكل خاص قيادة الثورة في الجمهورية العربية المتحدة :

أ ــ اذا كان هدف العدوان الاستعماري الصهيوني هو تصفية الثورة الاشتراكية من أجل ابتلاع الوطن العربي ، فان الوسيلة التي اتبعها هي الاحتلال العسكري لجزء من الاراضي العربية . وهذا الواقع الموضوعي ، قد أدى عمليا الى جر عديد من القوى والفئات العربية الى المعركة ضد العدو . ان الملك حسين وحزب الامة والحزب الوطني في السودان وأمراء الكويت وكثيرا من القوى الاخرى أصبحت بحكم الواقع العملي أطرافا في المعركة تقف ضد العدوان بدرجة أو بأخرى ، ولسبب او لاخر . وطبيعي أن يحدث الشيء نفسه داخل المجتمع المحلي ، اذ ان كثيرا من الفئات غير الاشتراكية تقف بدرجة أو بأخرى ضد الاحتلال العسكري لجزء من وطنها ، حتى لو كانت تتمنى لهذا الوطن أن يكون بعد ذلك رأسماليا . وبديهي اننا نستبعد تماما من هذا الحديث الفئات الخائنة العميلة او المتآمرة التي تستهدف بوضوح وبشكل مباشر خدمة الاحتلال العسكري والاستفادة من الحراب الاسرائيلية في التطويح بالقيادة الاشتراكية .

ب ــ القاعدة التاريخية العامة ، هي ان العدوان الاجنبي ضد أي وطن يؤدي الى تغييرات تكتيكية في قوات الثورة وقوات الثورة المضادة داخل هذا الوطن. وواجب القيادة الثورية الواعية أن تستفيد الى أقصى درجة من هذا الواقع المؤقت وأن تعمل على توسيع صفوف المقاومة ضد العدوان الى أقصى حد ممكن .

ج ــ تقتضي ظروف المعركة الوطنية والتعبئة المباشرة ضد العدوان الاجنبي ، صياغة الصراع الطبقي داخل اطار الوحدة القومية ، وذلك بتأجيل الاجراءات الاجتماعية العميقة واتخاذ كافة الوسائل للحيلولة دون تحول الصراع الاجتماعي الى صراع حاد . ولا شك ان ضرب الفئات المتملكة أو فئات المديرين غير الاشتراكيين أو ما الى ذلك ، ليست مسألة اجراءات ادارية وقرارات جمهورية ، لكنها تشكل معركة اجتماعية كبيرة وحشدا جماهيريا واسعا يمكن أن يتحول الى صدام داخلي . لكن بعض الشبان اليساريين المتطرفين ، يتصورون ان حسم مثل هذه المعركة لا يكلف اكثر من كلمات معدودة ، تصدر من جهاز الدولة ! ولو كان الامر بهذه السهولة ، لكان أقرب الى العقل أن تتم مثل هذه الاجراءات في السنوات السابقة قبل العدوان . بل لو كان الامر بهذه السهولة ، لما اضطرت القوات الغوغائية للحرس الاحمر في الصين الى الدخول في عشرات الاشتباكات المسلحة التي لا تزال مستمرة حتى اليوم من اجل تطبيق مثل هذه الاهداف .

د ــ تقتضي هذه الظروف جميعا أن تعمل كافة القوى المعادية للاحتلال العسكري تحت راية « الوحدة الوطنية » ، لا تحت راية « الوحدة الاشتراكية » . ومعنى ذلك ببساطة أن تتحرك القوى الثورية الاشتراكية وسط صفوف واسعة للمقاومة هي صفوف الوحدة الوطنية . ففي فرنسا مثلا أثناء الاحتلال النازي ، حل شعار « الجبهة الديمقراطية ضد الفاشية » محل شعار « الجبهة الشعبية » الذي كان يستهدف قبل الحرب تحقيق الانتقال الى الاشتراكية لا مجرد تحرير أرض الوطن . ورغم ان اليمين البرجوازي الفرنسي الذي يشمل الاجنحة الانتهازية من الاشتراكية الديمقراطية ،

ــ التتمة على الصفحة ٦١ ــ

١ ــ جريدة « الجمهورية » ، في يومي ٣ و ٤ اغسطس ١٩٦٧ .

المعركة الوطنية واتجاهات اليسار

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٦ ـ

هو الذي يتحمل الجزء الاكبر من مسؤولية استسلام فرنسا للعدوان الهتلري ، فقد رفع موريس توريز في ذلك الوقت شعار « أيها الفرنسيون اتحدوا من اجل الوطن ! » . وفي الصين بدأ منذ عام ١٩٣٧ تكتيك « الجبهة المتحدة ضد اليابان » بعد وصول الجيوش اليابانية الى ضواحي بكين ، واكتفى ماوتسي تونغ في مناطق الجيش الاحمر بتخفيض الايجارات والضرائب على الفلاحين بدلا من تطبيق الاصلاح الزراعي الثوري . وبعد هزيمة اليابان عاد ماوتسي تونغ يستكمل مصادرة أراضي الاقطاعيين وتوزيعها مجانا على الفلاحين واسقاط الديون المتراكمة على هؤلاء وذلك تحت شعار « جبهة القوى الثورية الشعبية » بدلا من « الجبهة المتحدة ضد اليابان » . هكذا كانت خبرة المرونة الصينية في الماضي ، قبل أن تدفعها الاطماع الشوفينية الى قياده الانحراف اليساري العالمي .

هـ ـ ان شعار الوحدة الوطنية لا يعني قط الغاء شعار « وحدة القوى الاشتراكية » كما تتوهم الاجنحة اليمينية التي تحلم بتنكيس راية الاشتراكية في المستقبل . لكن الحقيقه هي ان تعزيز القوى الاشتراكية وتدعيم وحدتها ، هو أهم الوسائل القادرة على جمع الصفوف الوطنية حولها وجذب الفئات المترددة الى العمل معها . وان أي ضعف أو تفكك في القاعدة الاشتراكية يؤدي بالضرورة الى تفكك الصفوف الوطنية وتنافرها وابتعادها عن طريق المقاومة الوطنية الناجحة . فالوحدة الاشتراكية داخل الوحدة الوطنية ، تشبه القلب الذي يحرك الحياة داخل الجسد . لكن المسألة على وجه الدقة هي ان طبيعة المعركة المباشرة ضد العدوان ، تفرض على هذه القاعدة الاشتراكية أن تتحرك وسط جيش واسع تضم أجنحته عديدا من الفئات الوطنية غير الاشتراكية بل وغير النقية في بعض الاحيان . وكلما كان من الممكن تدعيم القيادة الاشتراكية للمعركة الوطنية ، كان ذلك أفضل ، لكن الواجب الضروري بشكل كامل ، هو توسيع جيش المقاومة الوطنية بحيث يستوعب أعرض القطاعات الممكنة ، وبحيث ينجح في تحييد القطاعات اليمينية التي ترفض الاشتراك في المقاومة لكنها لا تصل الى مستوى الخيانة النشيطة .

وباختصار ، فان اليسار الثوري يدرك ان العمل الاكبر بالنسبة للثورة الاشتراكية في هذه المرحلة هو هزيمة العدوان ـ أي انقاذ بقاء الثورة . من هنا يفكر اليسار الاشتراكي الثوري في اطار هذا السؤال : كيف ننتصر في المعركة الوطنية ؟

أما اليسار المنحرف ، فهو يضع العربة أمام الحصان ، ويزعم ان أكبر عمل ضد العدوان هو المزيد من الثورة الاشتراكية . وبذلك يفكر اليسار المتطرف في اطار هذا السؤال : كيف نضرب المزيد من الفئات غير الاشتراكية ؟ والنتيجة هي أن تتحول المعركة ضد العدوان الاجنبي الى معركة ضد فئات اجتماعية واسعة في الداخل . وبذلك يكسب العدو المزيد من الحلفاء ، وتكسب القيادة الثورية المزيد من الاعداء ، وتتبدد طاقات المقاومة الوطنية في منحنيات الصراع الاجتماعي الداخلي .

٤ ـ في الجبهة القومية العربية :

في مجال العمل الثوري في الجبهة القومية في الوطن العربي ، تتكرر مظاهر الانحراف اليساري التي استعرضناها في الجبهات المحلية . فها هنا أيضا يبدأ الانحراف من حقيقة واضحة هي ان العدوان استهدف أساسا ضرب القيادة الاشتراكية . ثم يغرق اليسار المنحرف في الحديث عن هذا الهدف بدلا من أن ينتقل الى دراسة الاهداف الاصلية التاريخية وراء العدوان ودراسة الواقع العملي المباشر الذي نتج عنه .

والحقيقة ان العدوان الاستعماري الصهيوني لم يستهدف القيادة الاشتراكية الا بصفتها القيادة المخلصة للامة العربية والمدافعة الامينة عن الوطن العربي . فالعدوان يريد تنحية هذه القيادة ليفتح لنفسه الطريق أمام السيطرة على الوطن العربي كله . ذلك ان المطلب الحقيقي للمخططات الاستعمارية الصهيونية ، هو البلاد العربية جميعا لا الدول الاشتراكية فقط . والدليل على ذلك ان مخططات العدوان بدأت في الماضي قبل أن تظهر أي دولة اشتراكية في العالم العربي . فاذا كان الاستعمار والصهيونية يركزان ضرباتهما على قيادة الرئيس عبد الناصر ، فذلك بصفته حارسا ثوريا أمينا لمصالح الامة العربية التي هي الهدف الاصلي لاطماعهما . ولقد أراد الرئيس عبد الناصر في خطاب ٩ يونيه أن يكشف بالتحديد هذه الحقيقة التاريخية . فالاستعمار والصهيونية لا يهاجمان القيادات الثورية لمجرد تصفيتها ، بل للوصول بعد ذلك الى ابتلاع العالم العربي بكل اتجاهاته ونظمه . وان هؤلاء الذين يزعمون ان هدف الاستعمار والصهيونية محصور في تصفية قيادة الثورة الاشتراكية ، يرددون بذلك دعاوى اميركا واسرائيل عن ان المعركة القائمة هي فقط معركة ضد أشخاص محدودين « يثيرون الاضطرابات في المنطقة » ! واذا كانت أبواق الاستعمار تريد بهذه الدعاية ان تعزل القوى الاشتراكية عن بقية قطاعات الامة العربية ، فمن غير المعقول ان يقع اليساريون في هذا الفخ وأن يرددوا الحديث الساذج عن ان هدف العدوان هو الثورة الاشتراكية « فقط » ! بل ان الادراك العلمي الثوري يقتضي منا أن نؤكد دائما ان العدوان يستهدف تحقيق مخططات واسعة وبعيدة لتحويل الوطن العربي كله الى مستعمرة اميركية اسرائيلية وابتلاع كافة النظم المستقلة في داخله ، وتحطيم أدنى مظهر من مظاهر الاستقلال حتى في

الحكومات التي تتعاون معه .

فلننتقل اذن الى القاء نظرة سريعة الى الواقع الموضوعي المباشر للوطن العربي بعد العدوان :

أ ــ دخل العدوان في صدام مسلح مع حكومة الملك حسين واحتل جزءا من أرضها وجعلها بذلك طرفا أساسيا في المعركة الوطنية ، رغم انها ليست حكومة اشتراكية .

ب ــ ازدادت المؤامرات الاستعمارية في جنوب السودان وعلى حدوده حيث تحتل الدوائر الصهيونية مراكز في بعض البلاد المجاورة . وحكومة السودان ليست حكومة اشتراكية ، لكنها مع ذلك حكومة مستقلة لا تقبل أن تتحول الى جهاز عميل .

ج ــ اذا كانت بعض الحكومات في بعض البلاد المنتجة للبترول قد تعاونت مع حكومتي اميركا وبريطانيا ولا تزال مستعدة للاستمرار في التعاون معهما ، فقد استطاعت رغم ذلك أن تستفيد من ازدياد مقاومة الدول العربية الثورية للاستعمار ، في أن تحصل من شركات البترول على عديد من الامتيازات والتنازلات ، كما انتقلت الى المزيد من الاستقلال و « الاحترام » و « حرية الحركة » في مستوى « التعاون » مع الحكومات البريطانية والاميركية . فاذا كان من مصلحة هذه الحكومات العربية أن تضرب الثورة الاشتراكية في الوطن العربي ، فليس من مصلحتها ان يفرض العدوان الاستعماري الصهيوني سيطرة واسعة على البلاد العربية ترجع بها القهقرى الى مستوى التعامل الخاضع الذليل الذي كان سائدا في الثلاثينات والاربعينات . وعلى هذا الاساس يتحدد الطابع المزدوج لسياستها في الوطن العربي . فاذا كان العدوان الصهيوني الاستعماري هو الخطر المباشر ، تصبح هذه الحكومات اكثر استعدادا لتأجيل عدائها للثورة الاشتراكية . والعكس بالعكس . فيجب اذن على اليسار الاشتراكي الثوري أن يؤكد طبيعة هذه المرحلة ويوضحها للحكومات العربية المعارضة للاشتراكية ، باعتبار ان توسيع السيطرة الاستعمارية الصهيونية يهدد بشكل مباشر امتيازاتها المحلية وامكانياتها في « التعاون » غير الذليل مع لندن وواشنطن .

د ــ نتج عن العدوان العسكري الاجنبي ، التهاب المشاعر الوطنية في طول البلاد العربية وعرضها ، واستثارة سخط الجماهير واستفزازها وغضبها على الاستعمار والصهيونية . وأصبح جو الشعور الوطني الملتهب في العالم العربي جزءا من الواقع الموضوعي المباشر ، يلعب دورا في تحريك عديد من القوى الوطنية والمترددة وفي شل حركة أجزاء من المراكز العميلة . ومعنى ذلك ان هذا الواقع الجديد يقدم امكانيات جديدة للتعامل القومي داخل الوطن العربي في اتجاه مقاومة العدوان بشكل او باخر . صحيح انها مجرد امكانيات ، لكن المحاولات المتكررة الصبورة يمكن ان تنتقل من الفشل الى النجاح ولو جزئيا .

على أساس هذه العناصر يجب أن يتحرك اليسار الثوري في ميدان الجبهة القومية العربية . والحقيقة ان القيادة الثورية الحكيمة في الجمهورية العربية المتحدة ، ضربت مثلا رائعا في الوعي والمرونة في مسارعتها الى المشاركة في مؤتمر الخرطوم واصرارها على تقديم الحلول المعقولة الممكنة لتوسيع الصف القومي وتوحيد العمل الوطني بمختلف درجاته ضد العدوان الاجنبي .

وعلى عكس هذه السياسة الثورية الحكيمة ، ارتفعت أصوات يسارية منحرفة تشكك في جدوى التعاون مع الحكومات « غير التقدمية » او تضع شروطا ثورية لا تحتملها طبيعة هذه النظم ، أو تطالب بتشديد الهجوم عليها بل والاصطدام بها ودفعها الى الابتعاد عن ميدان المعركة والاقتراب من مراكز العدو ، وتحويلها الى قوى مضادة تستهلك جزءا من طاقاتنا وتشق جزءا من صفوفنا وتشارك العدو في توجيه الضربات الينا . واذا كان هذا هو اتجاه الانحراف اليساري في العمل العربي ، فهو في نفس الوقت اتجاه المؤامرات الاستعمارية التي تستميت اليوم في توسيع هوة الخلاف بين الدول العربية وتستميت في الوصول الى تحطيم امكانيات التجمع والتقارب القومي .

الانحراف اليساري وموقف اليمين

قلنا في بداية هذا المقال : « اذهب الى أقصى اليسار ، تجد نفسك في اليمين » .

وفي النقاط العديدة التي تعرضنا لها ، اتضح ان مواقف اليسار المنحرف تصل في كثير من الاحيان الى الالتقاء العملي بمواقف اليمين ، بل وتصل أحيانا الى الالتقاء بدعاوى الاستعمار والصهيونية .

واذا قصرنا الحديث هنا على ما يسمى باليمين الوطني ، نستطيع أن نشير الى عدة أسباب تدفع قطاعات منه الى تنشيط الدعاية اليسارية المنحرفة :

١ ــ الاستفادة من التطرف اليساري ــ خصوصا لدى الشبان الاشتراكيين الجدد ــ في تشويه اليسار الاشتراكي كله واظهاره بمظهر الرعونة وعدم الحكمة والعجز عن قيادة المعركة الوطنية ، ودفعه الى استفزاز القطاعات الاجتماعية المترددة التي كان من الممكن أن تزداد التصاقا بالثورة الاشتراكية . ومعنى ذلك سحب مواقف اليسار المنحرف على كل اليسار الاشتراكي للوصول الى عزله وتضييق صفوفه وخفض تأثيره .

٢ ــ الاستفادة من دعاوى الانحراف اليساري في تشويه الماركسيين بشكل خاص ، واظهارهم بمظهر العناصر المعارضة للوحدة الوطنية ، وذلك توطئة للمطالبة بتصفيتهم وضربهم في أقرب فرصة . فقد أثبتت التجارب ان سياسة العداء للشيوعية تستخدم كل الوسائل اليسارية واليمينية ، بل وأيضا تفجير الاضطرابات المسلحة ، من أجل الوصول الى هدفها ، وهو التشويه ثم العزل ثم الضرب .

٣ ــ الاستفادة من الافتراءات اليسارية (الصينية)

على الاتحاد السوفياتي ومعظم دول العالم الاشتراكي في تثبيط مشاعر الجماهير نحو التضامن الاشتراكي العالمي وتخفيض حماسها للاشتراكية كنظام انساني ثوري ، وايهامها ان الدول الاشتراكية لا تختلف جذريا عن الدول الرأسمالية ، عملا بالشعار الاميركي الذي ارتفع عام ١٩٥٦ يقول : « ليسقط العدوان في مصر والمجر ! » . وحتى اذا لم يتخذ هذا الموقف شكل الهجوم الصريح على الاتحاد السوفياتي ، فان مجرد انتشار الجو اليساري المتطرف والغمز في التعايش السلمي ومحاولات تجنب الحرب العالمية ، أو مدح ما يسمى بالثورة الثقافية في الصين ، يمكن أن يؤدي الغرض المطلوب في عزل الجماهير عن بقية العالم الاشتراكي .

ومن المفيد أن نشير هنا الى اتجاه في اليسار المتطرف يظهر في البلاد التي تتعامل تعاملا واسعا مع الاتحاد السوفياتي ، يمكن تسميته « الاتجاه الصيني السوفياتي » ، وهو في الحقيقة مجرد شكل جديد لليسار الصيني . ويتمثل هذا الاتجاه باختصار في تبني معظم الافكار الصينية المنحرفة ، مع التمسك بعدم الهجوم على الاتحاد السوفياتي ، بل والاشادة بصداقته أحيانا ، بصفته مجرد مصدر للسلاح والدعم السياسي ! وقد قلنا من قبل ان المشكلة ليست مشكلة الصين او الاتحاد السوفياتي ، لكنها مشكلة اتجاهات تبرز بالضرورة داخل اليسار . وبهذا المعنى نجد ان الاتجاه المذكور يظل اتجاها يساريا منحرفا ويظل جديرا بأن يحمل اسم « الانحراف الصيني » .

٤ ـ دفع العناصر الاشتراكية الجديدة الى التشكك في القيادة الواعية للثورة الاشتراكية ، وذلك استعدادا لدفعها في المستقبل الى الانقلاب على هذه القيادة وضرب الثورة الاشتراكية نفسها . ذلك ان العناصر اليسارية المتطرفة التي تبدأ بمفهوم منحرف عن ظروف المرحلة الحاضرة وأهدافها ، تصل بالضرورة الى الخلاف مع السياسة الحكيمة التي تتبعها القيادة . ويمكن بالمزيد من اليسارية المنحرفة ان يصل هذا الخلاف الى مستوى فقدان الثقة . من ذلك مثلا الخلاف حول بعض الاجراءات الخاصة بالحراسة ، ثم الخلاف حول بعض عناصر اليمين الاشتراكي ، ثم الخلاف حول توزيعات الميزانية ، ثم الخلاف حول مؤتمر الخرطوم وحول الاتفاق مع السعودية ، الخ . وهذه خطة خبيثة بلا شك . ومن هنا يجب على اليساري المتطرف أن ينظر وراء ظهره ليبحث عن مركز التنشيط اليميني الذي قد يدفع حركته عن وعي أو عن غير وعي .

ومع ذلك ، فان الانحراف اليساري يتحرك أحيانا بدفع من عناصر « قيادية » يسارية ، رغم انه يلتقي بعد ذلك مع مخططات اليمين . فبعض العناصر اليساريةالتي لا تؤمن حقا بالتطرف اليساري ، تتصور ان تنشيط الجو اليساري المنحرف يمكن أن يكون أداة ضغط (او ابتزاز) يتيح لها تدعيم وتوسيع مراكزها . لكنها تقع في خطأ كبير . فهي تبدأ من تصور غير صحيح ، مؤداه ان المرحلة الحاضرة تقدم لها الظروف الملائمة للتوسع واحتلال مراكز اليمين الاشتراكي وتصفية اليمين الوطني . لكنها سوف تكتشف عمليا ان هذا التصور الخاطىء يدفع بها الى اتجاه لا يخدم مصالحها ، بل يخدم على العكس مصالح اليمين الذي تعارضه .

لماذا ؟

لان هذا اليمين يستطيع أن يظهرها بمظهر القوى المتهورة المعارضة للوحدة الوطنية التي تريد ان تجر البلاد الى الانعزال والتمزق والتخبط ، بينما يظهر هو بمظهر الحكمة والتعلق بالوحدة الوطنية

***

من المهم اذن أن تتنبه القيادات الاشتراكية الثورية الى أخطار الانحراف اليساري واحتمالات انتشاره في هذه المرحلة بالذات ، وأن تواجهه بنفس الدرجة من الصراع الفكري الحاسم الذي تواجه به اتجاهات اليمين داخل الجبهة الوطنية . فاذا كان شعار العمل مع مختلف القطاعات الاجتماعية هو : « المرونة والتشدد » ، واذا كان شعار العمل في الجبهة الوطنية او القومية هو : « الوحدة والصراع » ، فان شعار العمل داخل صفوف اليسار الاشتراكي يجب أن يكون : « الصراع الفكري ضد الانحراف اليساري ، من أجل تدعيم وحدة القوى الاشتراكية بمختلف اتجاهاتها ، ومن اجل توسيع وحدة القوى الوطنية » .

ان جماهير الشعوب العربية مخلصة وثورية بطبيعتها ، وجماهير الشباب الاشتراكي المتحمس مخلصون وثوريون في ايمانهم الاشتراكي . لكن تلقائية الاخلاص الثوري قد تدفع أحيانا الى التطرف اليساري المتزايد تعبيرا عن الرغبة العارمة في تحقيق الاهداف البعيدة على الفور ، والشعور المثالي بضرورة اتباع الوسائل النموذجية المستقيمة ، وتصفية وتنقية وفرز قوات الجبهة ، والاكتفاء بفرسان الثورة المطهرين (؟!) وعدم تلويث الايدي بالتعامل مع المترددين او غير الاشتراكيين . ومعنى ذلك في الواقع تضييق جبهة الثورة وتوسيع جبهة العدو .

وقد لا يكون غريبا ان نلاحظ داخل بعض المنظمات الشعبية ان من أشد المتحمسين للتطرف والنقاء الثوري والعنف الاشتراكي ، عناصر غير نظيفة وغير اشتراكية ، لكنها تندفع الى هذا المستوى من الحماس والتطرف لسبب من سببين : اما لمجرد التغطية والتظاهر بالاخلاص ذرا للرماد في العيون ومجاراة للتيار ، واما عن ادراك خبيث ووعي تآمري بالنتائج البعيدة المترتبة على هذا الانحراف خصوصا بعد المعركة .

واذن فيجب ان يفهم اليساريون المتطرفون هذه الحقائق ، ويجب أن يتعلموا التمييز بين الاماني والوقائع .

وليس من الاخلاص الثوري أن نندفع وراء حماسهم وتلقائيتهم ، كما يرى هؤلاء الذين يؤمنون بالتحرك الفوغائي لجماهير الحرس الاحمر في الصين حيث تدور اليوم الاشتباكات الاهلية المسلحة في بلد اشتراكي عاش الثورة الاشتراكية ثمانية عشر عاما .

ومن الغريب ان عددا من اليساريين المتطرفين الذين يتحدثون في هذه المرحلة كثيرا عن الفقراءوالاغنياء والمديرين وعمال التراحيل ، لم يكتشفوا هذه الموضوعات قبل العدوان عندما كان الوقت ملائما لاثارتها والصراع من أجلها .

ومن الغريب أيضا ان عددا ممن يطالبون كثيرا بالفرز اليساري والنقاء المطلق ، لا يحتملون هم أنفسهم عملية الفرز والتنقية الحقيقية . فلو وضعنا مواقفهم السياسية السابقة في مرشح النقاء الثوري ، لكان من الصعب أن نحصل منهم على النقاء المطلوب . بل الحقيقة ان مثل هذه المهمة تفتح الباب واسعا امام مشاكل خطيرة داخل صفوف اليسار نفسه .

ومع ذلك ، فمن المهم أن نختم هذا المقال بملاحظة قد لا تحتاج الى توضيح كثير .

فاذا كان الانحراف اليساري هو الاكثر خطرا على حركة الثورة اليوم ، فيجب على القيادات الاشتراكية الثورية أن تحذر الوقوع في رد فعل يميني ازاء التطرف اليساري .

فالتركيز على احتياجات المعركة الوطنية ، يجب ألا يقلل من احتياجات حماية الثورة الاشتراكية وتأمين الطريق امام انطلاقها في المستقبل .

والتركيز على الوحدة الوطنية ، يجب ألا يقلل من ضرورة الاهتمام بالوحدة الاشتراكية ، وضرورة اصلاح بعض الظروف الصارخة التي يمكن ان تؤدي الى انفجارات .

والتركيز على توسيع صفوف المقاومة ضد العدوان بحيث تشمل القطاعات غير الاشتراكية ، يجب الا ينسينا أهمية تدعيم المراكز القيادية للاتجاهات الثورية الاشتراكية .

ثم ان اتباع سياسة المرونة والوحدة في أوسع نطاق ، يجب أن يرتكز على اتباع سياسة التشدد والصراع من اجل حماية الاهداف الوطنية المباشرة والاهداف الاشتراكية الطويلة .

ومعيار التحديد في ذلك كله ، هو توفير احتياجات النصر على العدوان وتحرير الاراضي المحتلة . فاكبر خطوة تقدمية في طريق الثورة الاشتراكية اليوم ، هي هزيمة الغزو الاستعماري الصهيوني وحماية استقلال الوطن العربي . هذه الخطوة الكبرى هي التي تحمي بقاء الثورة الاشتراكية وتكفل لها بعد ذلك امكانيات الانطلاق والتطور الواسع .

القاهرة

اسماعيل المهدوي

السفير

الباباء

آخر رواية للكاتب الشهير

موريس ويست

رواية الحرب القذرة في فيتنام ، كما يرويها سفير اميركي عين في سايغون وشاهد في اول يوم وصل فيه انتحار راهب بوذي .. وهو يقص هنا قصة تلك المنطقة التي تمزقها الخلافات السياسية والدينية والعسكرية وتدخل الولايات المتحدة الاميركية في هذا كله . ويعيش هذا السفير مأساة ضميرية اذ يكون عليه ان يختار بين رجل يحترمه (هو الرئيس كونغ) وبين طغمة من الجنرالات المتآمرين الذين تدعمهم المخابرات السرية الاميركية .. انه الصراع بين الاخلاق والانتهازية السياسية ، ولكنه كذلك مأساة شخصية يخرج منها السفير مجروحا في ضميره بحيث يهجر مهنته الدبلوماسية ليلتمس الخلاص الروحي بالقرب من راهب ياباني ..

وقد نجح موريس ويست ، وهو مؤلف رواية « محامي الشيطان » الشهيرة ، في تصوير حرب الفيتنام والدور الذي تلعبه فئة من الشخصيات المختلفة الغامضة ، وفي التعبير عن نزعة انسانية رائعة جعلت هذه الرواية في طليعة الروايات المعاصرة .

صدر هذا الشهر